

بنية الوصف في القصة القصيرة

”قصة الموظف الصغير“

نموذجاً تطبيقياً

د. حنان إبراهيم العمايرة

قسم اللغة العربية / كلية السلط للعلوم الإنسانية / جامعة البلقاء التطبيقية

**The Portrait structure in short story
(the junior employee) a practical sample
PhD. Hanan Ibrahim Alamayra
Arabic Language Section . Al Salt College for humanities
sciences /Al Balqaa appliance University**

This study has to define the term description in Arabic studies Ancient and modern studies and western , and here have tended this study to the stability of the description in the short story read a critical analysis taking advantage of the views of critics. Found in practice the synergy between the description and other fictionalized elements other particular narrative in this story .

La structure de la description de l'histoire courte "l'histoire du petit employé" un modèle appliqué

D. Hanan Ibrahim Al Amayreh

*Département de la langue arabe / Collège de Saltt des sciences
humaines, l'Université de Balqa des sciences appliquée*

Cette recherche vise à découvrir l'impact de la description dans la structure de l'histoire courte, présent d'abord le concept de la description pour certains critiques anciens et modernes, se déplace ensuite à l'application montrant en effet de la description dans l'émission des repères des lieux historiques, relève encore les mécanismes de la description particulière des personnages et la langue reconstructive qui a formé la phrase descriptive dans cette histoire.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المخلص

يسعى هذا البحث للكشف عن أثر الوصف في بنية القصة القصيرة؛ فيعرض بداية لمفهوم الوصف عند بعض النقاد القدماء والمحدثين ؛ ثم ينتقل إلى التطبيق فيبين أثر الوصف في إظهار معالم المكان القصصي؛ ويكشف عن آليات وصف الشخصيات؛ واللغة البنائية التي شكّلت الجملة الوصفية في هذه القصة .

المقدمة :

الوصف مصطلح حاضر في كل كلام مكتوب أو ملفوظ ، وهو عنصر يرافق جميع العناصر السردية ، ويشكّل دعامة يستحضرها الشاعر في بناء النص الشعري صوره وتخيالاته وانزياحاته ؛ وفي هذا البحث أسعى للكشف عن بنية الوصف في النص السردية، وقد اخترت دراسة الوصف في القصة القصيرة؛ للكشف عن أثر الوصف ووظائفه على عناصر النص القصصي؛ وأسعى إلى تطبيق الوصف كمبحث نقدي وتقني تترافق مع باقي العناصر السردية، و قد اخترت قصة قصيرة يظهر فيها الوصف بتجليات ووظائف متعددة، أما عنوان هذه القصة فهو "الموظف الصغير"^(١). لكاتبتها القصصي أحمد زياد محبك^(٢)، وقد جاءت موضوعات البحث على النحو الآتي :-

المبحث الأول : مصطلح الوصف دلالاته اللغوية و النقدية

المبحث الثاني: وصف المكان: أ- وصف مكان خارجي ب- وصف مكان داخلي

(١) نشرت هذه القصة في المجلة الثقافية تصدر عن الجامعة الأردنية، ع (٥٣) أيار ٢٠٠١، ص ٦٨-٧١.

(٢) أديب و أستاذ جامعي، ولد الدكتور أحمد زياد محبك في حلب عام ١٩٤٩، عمل أستاذاً للأدب العربي في كلية الآداب في جامعة حلب.

المبحث الثالث: وصف الأشخاص: أ- وصف الأم ب- الفتاة ج- الأم د- وصف البطل

المبحث الرابع : لغة الوصف .

٤ - الخاتمة.

أولاً : مصطلح الوصف ودلالاته اللغوية و النقدية .

يكاد الوصف لا يخلو من منجزنا الكلامي، فكثيرٌ من الكلام الذي نقرؤه ونسمعه محفوفٌ بجمالٍ وصفية، فهو حاضر في كلِّ ملفوظ ومكتوب بفضل دلالاته اللغوية المعجمية التي تربطه بمستويين؛ هما: الإبانة عن الهيئات والإخبار عن الموصوفات. يلحظ الدارس أن مادة (وَصَفَ) في المعجم اللغوي تحمل دلالات متعددة وكلها تتمحور في فلك التزيين والجمال؛ يقول: "وصف الشيء له و عليه وصفاً و صِفَةً: حلّاه، و قيل الوصف المصدر في الصفة الحلية"^(١). فالوصف تحلية وتزيين، ويضيف ابن منظور في الباب ذاته ما ورد عن حديث عمر في وصف الثوب: إن لا يشف فإنه يَصِفُ أي يصفها، يريد الثوب الرقيق إن لم يبين منه الجسد فإنه لرقته يصف البدن فيظهر منه حجم الأعضاء، فشبه ذلك بالصفة كما يصف الرجل سلعته^(٢) وفي هذا المعنى يكشف عن دلالة الكشف و الإظهار

والإبانة . وهذه دلالة مناقضة لما جاء في القرآن الكريم فالوصف في القرآن يكاد في مختلف صيغه المستعملة لا يردّ إلا وهو يتضمّن معنى الكذب أو ما يتعلّق به ويتعبّر آخر يتضمن الوصف خبراً مُختَلَقاً أو قصصاً يتعلّق به^(٣) . وقد جاء في تفسير السيوطي لكلمة (تصفون) في قوله تعالى : وجاؤوا على قميصه بدم كذب قال بل سؤلت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميل و الله المستعان على ما تصفون^(٤) . تصفون

(١) جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، المجلد التاسع باب الفاء، دار صادر - و دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، ١٩٨٦ ص (٣٥٦).

(٢) ابن منظور، المرجع السابق، ص (٣٥٧).

(٣) سامي سويدان، أبحاث في النص الروائي، مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٦، ص (١٣٣).

(٤) سورة يوسف، آية رقم (١٢).

أي تكذبون كذبا مفضوحا^(١). ولعلّ الخيط الرابط بين المعنى اللغوي و التفسير القرآني هو الكشف و الإيضاح و الإبانة فتصبح حقيقة ظاهرة للعيان وهنا يتحقق الفضح نتيجة إظهار الوصف .

أما الوصف في الخطاب النقدي القديم فقد أخذ الحديث عنه حيزا عند النقاد القدماء، ففي نقد الشعر عند قدامة بن جعفر جعل مفهوم الوصف عاما وواسعا ليشمل الأحوال و الهيئات؛ يقول: "الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات"^(٢).

أبو هلال العسكري جعل الوصف من أكثر الأغراض مدارس بعد المدح والهجاء، يقول: "ولما كانت أغراض الشعراء كثيرة ومعانيها متشعبة جمّة لا يبلغها الإحصاء كان من الوجه أن تذكر ما هو أكثر استعمالا وأطول مدارس وهو المدح و الهجاء والوصف والنسيب والمراثي و الفخر ..."^(٣).

وفي المكتبة البلاغية العربية نجد أن الوصف بقي على رفوفها مادة نظرية يُدرس من خلال علاقته مع التشبيه، فهو " علاقة مقارنة تجمع بين طرفين؛ لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصفات والأحوال"^(٤) " ولم ينتقل الوصف من الإطار النظريّ إلى الحقل التطبيقي كمبحث نقدي إلا في محاولات محدودة عند النقاد العرب في سياق حديثهم عن التشبيه والاستعارة والمحاكاة والخيال؛ فـ " التخيل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيّل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه

(١) السيوطي، أسباب النزول، تفسير و بيان مفردات القرآن الكريم، إعداد: محمد حسن الحمصي، ط١، الدار الشامية للمعارف، دمشق، ص (٢٣٧).

(٢) قدامة ابن جعفر، نقد الشعر، ت: كمال مصطفى، بدون ط، مكتبة الخانجي، مصر، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٦٣، ص(١٣٤).

(٣) أبو هلال الحسن بن عبدا لله العسكري، الصناعتين الكتابة و الشعر، ط١، ت علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٢، ص (١٣١).

(٤) جابر أحمد عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠، ص (١٨٨).

وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيّلها وتصورها أو تصوّر شيء آخر بها
انفعالاته من غير روية إلى جهة من الانبساط و الانقباض^(١) . فالتخييل صورة
والصورة وصف يتكون من الانفعالات التي تشكّلها الألفاظ .

أما في النقد الغربي فقد نحا الوصف منحىً تطبيقياً؛ فميشيل بوتور^(٢) يرى أن
وصف الأثاث والأغراض هو نوع من وصف الأشخاص الذي لا غنى عنه فهناك
أشياء لا يمكن أن يفهمها القارئ ويحسّها إلا إذا وضعنا أمام ناظريه الديكور وتوابع
العمل و لواحقه^(٣) .

يظهر مما سبق أثر الوصف في قراءة النص الأدبي ، ويتابع ألان روب غرييه
الحديث عن دور الوصف في الرواية الجديدة ، فالوصف لم يعد رسماً للأشكال و
الموجودات و إنما هو آليات مدروسة لها دلالتها و أثرها على المتلقي مما تثيره من
أبعاد تخيلية ، وهو يرى أن أهمية الصفحات الوصفية لا تكمن في الأشياء الموصوفة
ولكن في حركة الوصف نفسها^(٤) .

ولعلّ كتاب الناقد الفرنسي فيليب هامون " في الوصفي" من أبرز الكتب
التطبيقية في نظرية الوصف؛ إذ نجده يحول الوصف من جزئية مرافقة للسرد، إلى تقنية
بنائية ترافق جميع عناصر النص السردي، بل ويتجاوز الوصفي ذلك ليشمل كل

(١) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب
الشرقية، تونس، ١٩٦٦، ص (٨٠).

(٢) كاتب و ناقد و روائي فرنسي، ولد في فرنسا عام ١٩٢٦، من أهم نقاد الرواية الجديدة؛ وذلك
لأنه أسس لفكرة الزمان و المكان فيها.

(٣) بوتور، ميشيل، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت،
ط١، ١٩٧١، ص (٥٣).

(٤) غرييه، ألان روب، نحو رواية جديدة، تر: مصطفى إبراهيم مصطفى، تقديم: لويس عوض،
دار المعارف، مصر، ص (١٣١).

المحيط الثقافي للعملية التوصيفية مستقطباً في ذلك كلاً من قدرات الكاتب و القارئ و أحوالها النفسية و العلاقات بينهما ^(١).

وهكذا يتضح لنا أن الوصف مصطلح نقدي متعدد الدلالات والوظائف؛ ومن هنا فإن تحديد الإطار النظري للوصف يكون من خلال المبحث التطبيقي على نص أدبي؛

ثانيا : وصف المكان

المكان مسرح الأحداث، وميدان للكشف عن الانفعالات الإنسانية، فالمكان دون إنسان قطعة جامدة لا حياة ولا روح فيه، ولا شك أن القاص يرسم انفعالاته ومشاعره وعواطفه ومزاجه على أوصاف المكان ^(٢)، فالمكان لم يعد رسماً هندسياً أو نقلاً لتفاصيل الواقع بحرفيته، وإنما هو وسيلة للكشف عن حقيقة الشخصيات ^(٣)، وللتعبير عن أبعاد الخيال عند المؤلف وتمهيد للمتلقي في قراءة الأحداث قراءة تأويلية ذات أفق واسع وهذا ما أشار إليه باشلار حين ربط الفنّ بالمكان الذي يعيش فيه الإنسان ويبني فيه انفعالاته وخيالاته " إن المكان الذي يجذب له الخيال لا يمكن أن يبقى مكاناً لا مبالياً ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل بكلّ ما في الخيال من تحييز، وخاص أنه يملك جاذبية، في أغلب الأحيان وذلك لأنه يكشف الوجود في حدود تتسم بالجمالية ^(٤)"، وهذه الجمالية هي التي تجذب المتلقي للتفاعل مع النص؛ و الجمالية لا تقف عند حدود الوصف المكاني وإنما تدخل في وصف العناصر القصصية الأخرى، لا سيّما أن المكان غالباً ما يرتبط بالزمان، فعلاقات الزمان تتكشف في المكان، و المكان يدرك ويقاس بالزمان

(١) هامون، فيليب، في الوصفي، تر: سعاد التريكي، ط١، بيت الحكمة، قرطاج ٢٠٠٣ ص ٨-٩.

(٢) أسماء عبدالقادر شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٠، ص (١٠-١١).

(٣) إبراهيم السعافين: الأتقنة و المرايا "دراسة في فن جبرا إبراهيم جبرا" المركز العربي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ص (٤٥).

(٤) غاستون بلاشر: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسة، بغداد، ١٩٨٠، ص (٣٧).

وقد وُصفَ هذا التقاطع بـ"الزمان المكان الفني"^(١)، فكيف انتقى الكاتب أوصاف مكانه؟ وما أثر هذه الأوصاف على العناصر القصصية؟

ظهرت أوصاف المكان في قصة "الموظف الصغير" في بعدين؛ هما :

١. وصف مكان خارجي

٢. وصف مكان داخلي

١. وصف مكان خارجي

بدأت القصة بوصف خارجي ليوم قائف ؛ وهنا إشارة زمانية فالأحداث التي تجري تحدد زمنها بكلمة "قائف" وهذا يدلّ على أن الفصل صيفيا حارا؛ وهذا هو الوصف الزمكاني الذي أشار إليه باختين سابقا^(٢)، يسير فيه الموظف الصغير إلى مكان عمله فيصف حركة السيارات و الإشارات الضوئية وهكذا حتى يصل إلى مكان عمله وتتراوح الأحداث في هذه القصة بين مكانين بيت العروس الذي وتجتمع فيه أوصاف تعكس صورة الاستغلال المادي للوظيفة فيظهر هذا على تفاصيل البيت و أثاثه. والمكان الثاني هو المكتب الذي يضم حوار الموظف الصغير مع زملائه ويكشف هذا الحوار عن رؤية الراوي المناقضة لرؤية مجتمعه و زملائه ووالديه.

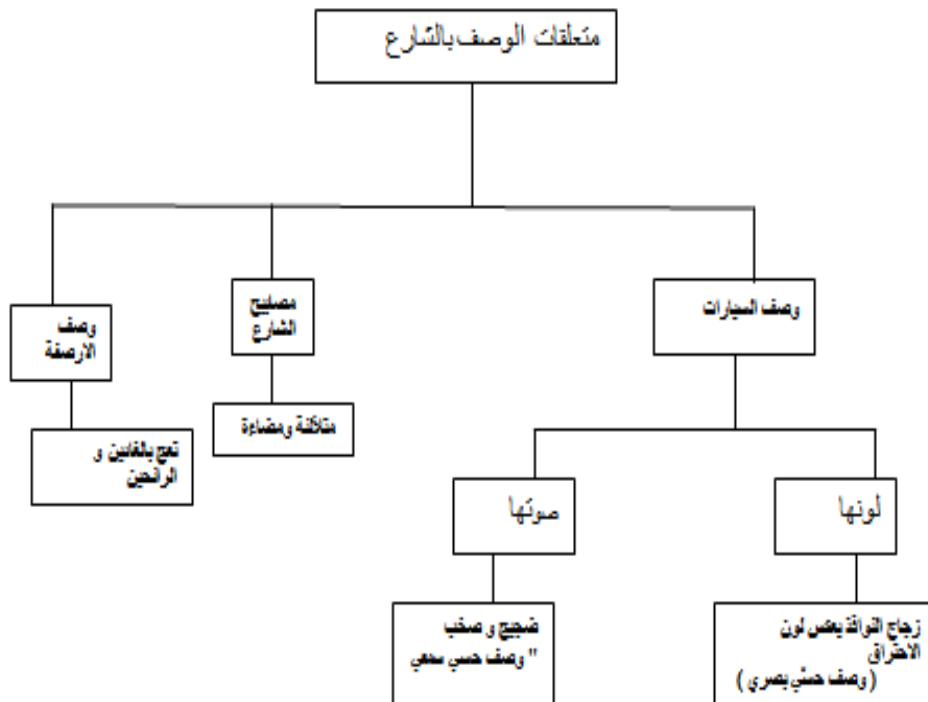
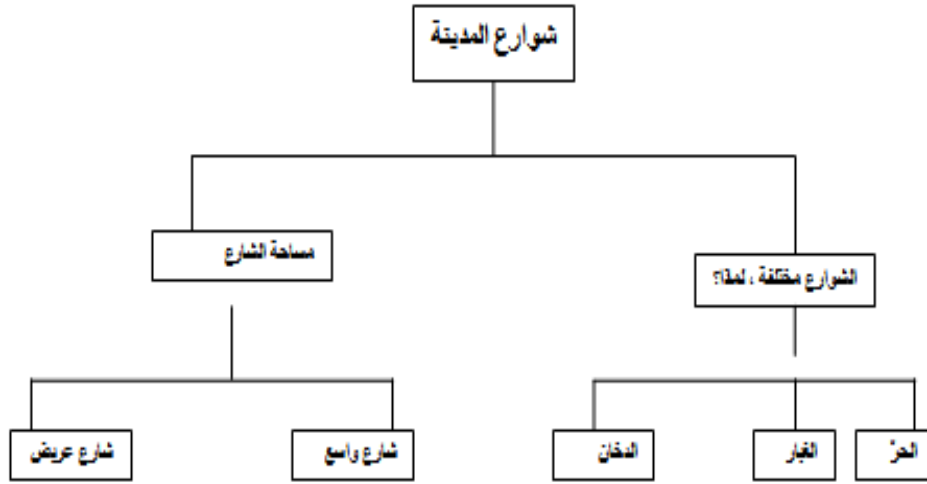
أما الوصف الخارجي في هذه القصة فيتمثل فيما يلي:

أ. وصف الشوارع: جاء وصف الشوارع في بداية القصة انعكاسا للانفعالات النفسية للراوي فانعكس هذا في وصف الحس و الحركة؛ وامتدّ الوصف من الشارع إلى متعلقاته من السيارات و الأرصفة والناس الغادين والرائحين، و يمكننا أن نجمل هذا الوصف في المخطط الآتي:-

(١) ميخائيل باختين: أشكال المكان و الزمان في الرواية، ترجمة: يوسف حلاق، وزارة الثقافة،

دمشق، ط١، ١٩٩٠، ص(٦٠).

(٢) ميخائيل باختين: أشكال المكان و الزمان في الرواية، السابق، ص(٦٠)



ب . وصف مكان خارجي متخيل:

استطاع الكاتب بوصفه، أن يوسّع حدود المتخيل المكاني إلى مساحة ممتدة خارج حدود البيت و الشارع إنه الغاب السحيق؛ و فيها مشهد تصويري حركي، يبدأ بالنار

التي تتأجج، وحولها نساء عجائز وصبايا؛ لينقل البطلة "المحبوبة" من البيت المغلق إلى الغابة الواسعة، أما والد هذه البطلة؛ فيتغير وصفه ودوره فهو محاصر مقيد ينظر إلى البطل وهو يصنع المعجزات من أجل المحبوبة، ويبدو أن الصورة الوصفية مستمدة من عالم طرزان الحكائي، هذا العالم الذي يحمل الفانتازيا الذهنية. فها هو البطل بضربة سكين يقضي على النمر ويلقي جلد النمر عند قدمي المحبوبة، و بيديه يرفع أنياب النمر ويقدمه لها كي تنظمه بخيط تزين به صدرها^(١).

إن المكان المتخيل جعل مسرح الأحداث والشخصيات مرسومة بما ينسجم مع الفضاء التخيلي، وهذا ما سماه هامون الفضاء الفرعي المخصوص^(٢). وهذه المتعلقات الوصفية بهذا المكان المتخيل تشكل حافزاً للقراءة، يقول هامون: "إن الارتكاز على سلسلة الصفات الواردة على شكل لائحة يعد مثيراً تلقائياً فيصبح للنص هنا سلطة خفية تقتضي من القارئ أن يقرأ الوصف بهذه الطريقة أو تلك. و تنهض هذه الكلمات (الوصفية) بدور الإشارات المرجعية الذاتية التي تأمر المتلقي بالقراءة"^(٣).

٢. الوصف الداخلي :-

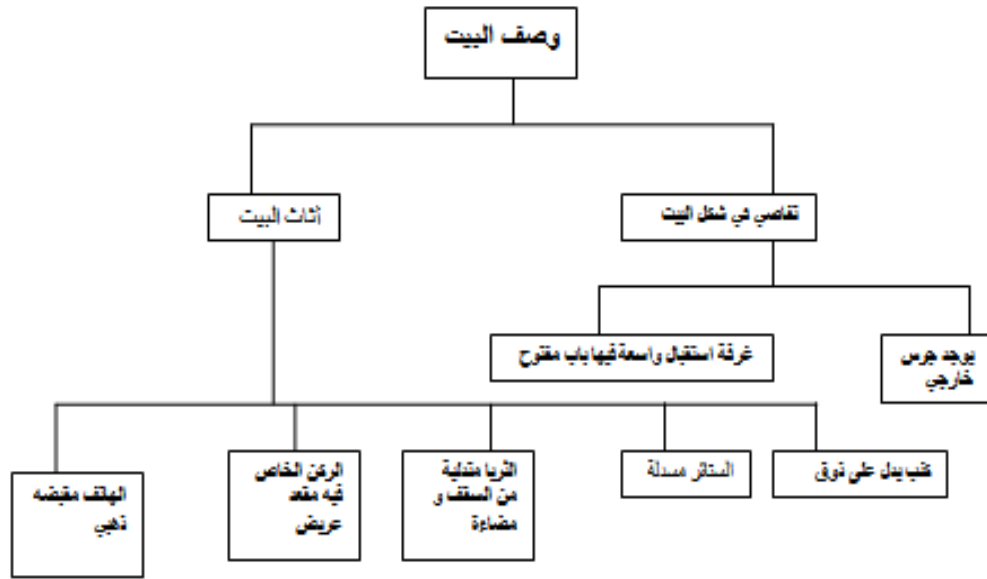
جاء الوصف الداخلي للمكان أكثر تفصيلاً و تحديداً لغاية قصدية من الكاتب الذي أراد أن يكشف معاني متعددة، تتمثل في بعدين؛ هما:
أ- الكشف عن الغنى والمستوى المادي المرتفع الذي تعيشه الفتاة "المحبوبة" و"المطلوبة"

و هذه الأوصاف كشفت عن هذا مستوى هذا الغنى المادي ؛ وقد جاءت في الجمل الوصفية في مستويات متعددة، ويمكننا أن نجمل هذه الأوصاف في المخطط الآتي:

(١) انظر القصة، السابق، ص (٦٩).

(٢) فيليب هامون، في الوصفي، ص (١٤٨).

(٣) فيليب هامون، في الوصفي، المرجع السابق، ص (١٣١).



إن الامتداد في المساحة الوصفية لموصوف واحد يجعل هذا الموصوف مرتبطاً بأبعاد دلالية، ويلحظ أن مستويات الوصف متعددة، و هذا التعريف الذي قال عنه هامون: " كل نظام وصفي لما هو تصريف (تفعيل) لجداول مصغرة هو مجموعة معادلات مترتبة : معادلة بين تعيين (لفظ) و بين توسيع المخزون من الألفاظ المتجاورة في شكل لائحة أو المترابطة أو الملحقة في شكل النص" ^(١).

إن سلسلة المفردات المتجاورة وسّعت قائمة المخزون الوصفي مما جعل هذه العلاقات الاقترانية بين المفردات لغاية الكشف عن المستوى المعيشي الذي يؤطر حياة هذه الفتاة، مما يحقق المقصد الذي يسعى القاصّ لتحقيقه.

ب. الكشف عن البعد النفسي الذي سيطر على البطل:

كشفت الجمل الوصفية في أوصاف البيت الداخلية عن الانفعالات النفسية عند الراوي " وهو الموظف الصغير " الذي تدور الأحداث حوله ، فالثريا التي تدلّت من

(١) انظر: فيليب هامون، في الوصفي، السابق، ص (٢٥٥-٢٥٦).

السقف وأحالت المكان إلى نهار ساطع جعلته يفقد أشعة الشمس فكان محاصراً بالأضوية ومحاطاً بالظل. وعلى الرغم من رحابة الغرفة التي تفوق مساحة داره كلها أحس فيها بالضيق والاختناق، فالستائر المسدلة جعلته يشعر بالاختناق، لا بل أيقن أنه عُزل عن العالم في قبر ضيق من الفضة. ألا تعكس هذه الأوصاف ألم البطل من عالم الغنى المادي، ورفضه لهذا العالم؟!

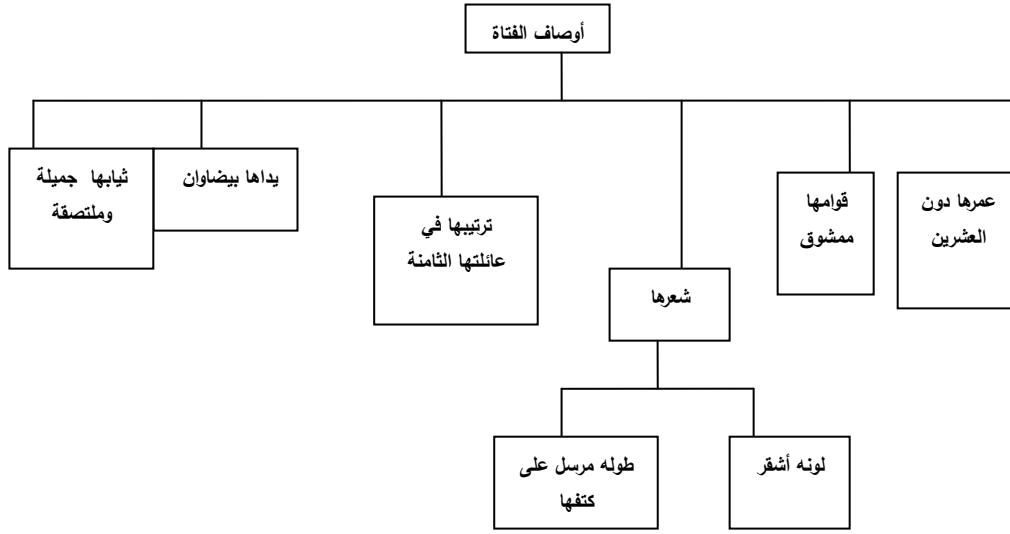
إنها تؤكد تفضيله لعالمه البسيط المنسجم مع واقع "الموظف الصغير" على تلك الماديات الوصفية المرافقة لمشهد الغنى المادي.

ثالثاً: وصف الشخص

شكلت الأوصاف التي قدمها الكاتب جزءاً من بناء الشخصية ووسيلة لإثارة دافعية القارئ في فهم التفاعل بين الحدث والشخصية من جهة، والشخصية "المحورية" و سائر شخصيات العمل من جهة أخرى، فالأوصاف الشخصية تدخل في حساب المتلقي عند التأويل؛ يقول العمامي "تعد الشخصية البشرية مكوناً من مكونات بطاقة الشخصية، والمواطن النصي الذي تبنى فيه بعض المعارف الضرورية للكفاءة التأويلية للقارئ و للاشتغال السيميائي للنص"^(١).

وهذا يحفز القارئ في بناء الرؤية التأويلية لسلوك الشخصية ضمن مجريات الحدث القصصي وقد أخذت شخصية "الفتاة" التي ذهب البطل ليطلب يدها الحيز الأكبر من الوصف ؛ إذ يلحظ أن جُلّ الجمل الوصفية جاءت وصفاً خارجياً في جمل بسيطة غير ممتدة ويمكننا أن نجمل هذه الأوصاف في المخطط الآتي:

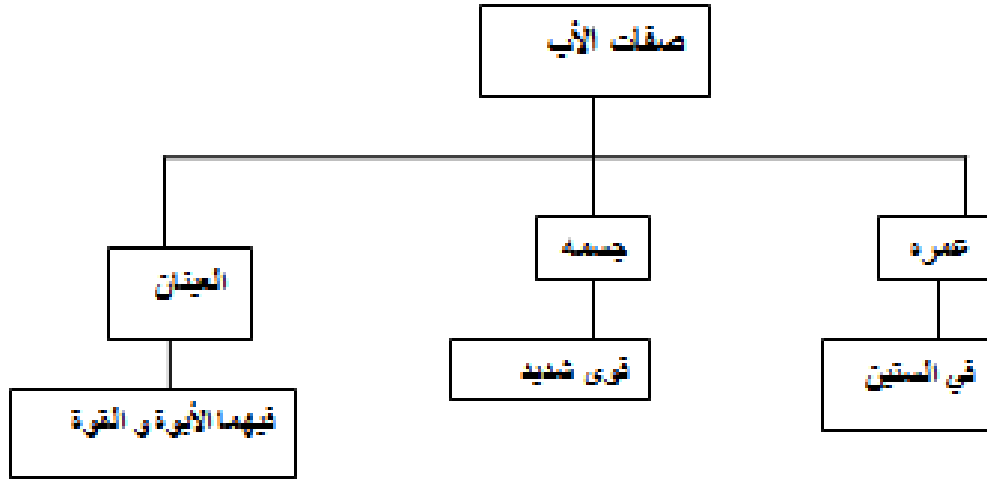
(١) محمد نجيب العمامي، الوصف بين النظرية و النص السردي، ط١، دار محمد علي للنشر، تونس، ٢٠٠٥، ص (١٥٥).



. شخصية والد الفتاة:-

شكّلت أوصاف والد الفتاة محوراً للتفاعل مع أوصاف البطل فهذه الأوصاف ساهمت في تدرج الأحداث نحو النمو للوصول إلى العقدة.

وأوصاف الرجل تكشّفت بطريقتين: الأولى؛ السرد القصصي؛ وركز فيها الراوي على الوصف المادي الخارجي لوالد الفتاة، أما الطريقة الثانية فتكشفت عن طريق الحوار الخارجي "الديالوغ"؛ وفيه يكشف عن الصفات المعنوية إضافة إلى الصفات المادية لهذا الرجل الرأسمالي و يمكننا أن نفصل في هذه الأوصاف على النحو الآتي :



- صفات ظهرت عن طريق الحوار: يتحدث الأب بهدوء: " أنا أعرف يا بُني أنك موظف، والموظف في هذه الأيام دخله محدود، ولكن كل شيء من الممكن أن يتغير، كثير من الموظفين طوروا أنفسهم"^(١).

" أنا بدأت برأس مال صغير وعندي الآن معمل كبير للدهان وغداً تعمل مع أولادي، عندي سبعة وابنتي هي الثامنة، ستشاركها في حصتها وسترى الأرباح، القرش يجر عشرة، لا بأس يا بُني هكذا هي العادات والتقاليد، أنا أرفضه، ولكن لا بد من أجل الناس، ولا شك أنت شاب طيب ونبي، أنا لا أريد أي شيء ولكن من أجل الناس ولذلك لا بد"

" ويعود الرجل القوي بعد ارتشاف متميز للقهوة: " ليست مشكلة كما قلت لك، هي مجرد كلمات على أوراق مكتوبة، أنت بالطبع لن تدفع شيئاً ونحن سنشتري لابنتنا داراً في المبنى المجاور لا نريدها بعيدة عنا "^(٢).

يكشف الحوار السابق عن شخصية الوالد، فهو في بداية حوارهِ يجري مقارنة سريعة تصف الحال التي كان عليها، والحال التي آل إليها، فقد بدأ من موظف بسيط برأس مال صغير ثم أصبح الآن صاحب معمل كبير للدهان، وكأنَّ هذه المقارنة

(١) انظر، قصة " الموظف الصغير، أحمد زياد محبك، السابق، ص ٦٩

(٢) انظر، المرجع السابق، ص ٧٠

السريعة تترك رسالة لذلك الموظف الصغير، فعليه أن يقتدي بذلك الرجل، عليه أن يبدأ برأسمال صغير ليصبح فيما بعد صاحب أملاك كبيرة، فإن هذا الوصف يترك رسالة ضمنية تفهم من خلال السلسلة الاقترائية من الأوصاف، فجميع أوصاف الرجل التي كشف عنها حوار مع الموظف الصغير أوصاف تنتمي إلى الحقل الإيجابي مما يعني أنها أوصاف محفزة للمتلقي لكي يقتدي بها، فالرجل يصف نفسه من منظوره هو، أما الراوي فلا شك أن منظوره الوصفي مختلف ولكنه لم يكشف لنا، فصمت الراوي عن وصف الرجل من منظوره الخاص، يترك رسالة نفهمها من خلال الجمل الوصفية التي تلت هذا الحوار، يقول الراوي عقب حوار الرجل: "الرجل القوي وحده من يتكلم، وحده يلون بالأسود كل فراغات الصمت الأبيض"^(١).

فالراوي يرى الرجل قوياً مسيطراً على كل الأشياء حتى مساحات الفراغ، فهذا الوصف كشف لنا من رؤية البطل، فالأوصاف تتباين بتباين الزاوية التي ننظر منها إلى الموصوف.

ولو عدنا إلى أوصاف الرجل من خلال الحوار السابق سنجدها كالاتي:

أ. شخص عصامي، بدأ من موظف صغير ووصل إلى رجل صاحب رأسمال كبير.

ب. شخص محب لعائلته، ومحب لأبنائه، لديه سبع أبناء ذكور وصبية واحدة.

ج - صاحب معمل دهان.

د - صاحب رؤية رأسمالية، فهو يرى أن الإنسان إذا امتلك المال يستطيع أن يغير

كل شيء بالمال، يقول: "ما من شيء لا يمكن صنعه، ليس الشعر فقط، بل

الدماغ أيضاً غداً تصبح تاجراً كبيراً وتلون الدنيا باللون الذي تريد"^(٢)

هـ - متفائل.

و- يحترم العادات والتقاليد، يقدر رأي الآخرين، يقوم بأعمال غير مقتنع بها وإنما من

أجل إرضاء الناس فقط.

(١) أحمد زياد محبك، قصة الموظف الصغير، المرجع السابق، ص (٦٩).

(٢) أحمد زياد محبك، المرجع السابق، ص (٧٠).

ز - يحبّ رشف القهوة.

ح - ماديّ يظن أنه يشتري كل شيء بالمال، فهو يريد أن يشتري بماله داراً لابنته لكي تبقى قريبة منه.

ط - يتباهى بما لديه من مال؛ وكأنه يبيع ابنته بيعاً فهو يريد أن يشتري لابنته سيارة يوم الزفاف.

يبدو أن الكاتب في وصفه اتّبع الأسلوب التحليلي، وهذا الأسلوب يوحي بأن الكاتب تحوّل إلى ناقد أو دارس أو فاحص يحلل أو يشرح الظواهر السلوكية لشخصيات قصته، فيستطيع من خلال عرضه القصصي بالسرد والحوار والوصف الذي يرافقهما أن يستجلي الدوافع والبواعث التي تكمن وراء الأحداث أو تغيرها، وتعمق المشاعر الظاهرة والباطنة باصطناع المواقف أو مظاهر السلوك التي تكشفها للقارئ^(١).

فالكاتب قد لا يعطي الوصف صريحاً ولكنه يوحي للمتلقى بالوصف من خلال كشفه عن البواعث وراء الحدث الموصوف وهذا ما نجده في وصف الأب.

ـ شخصية الأم:

أم البطل التي تسعى إلى أن تخطب لابنها فتاة من طبقة أرستقراطية، حريصة على مصلحة ابنها، عانت في حياتها من الفقر والمعاناة، فقد توفي زوجها فأخذت على نفسها تربية ابنها، تحب الثروة وقد كشفت ملامح وجهها عن الرضا عن عروس ابنها التي تنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية.

أوصاف الأم تنتمي إلى حقل الأوصاف النفسية، فقد كشف القاص عن رغبات وأمنيات سعت الأم إلى تحقيقها عن طريق السعي لخطبة فتاة من الطبقة الأرستقراطية، وقد غيّب الكاتب الأوصاف المادية للمظهر الخارجي للأم باستثناء جملة واحدة مكثفة اعتمد فيها على المقارنة بين والدة البطل ووالدة العروس، يقول:

(١) حسني نصار، صور و دراسات في أدب القصة، مكتبة الانجلو المصرية، بدون ط، ص (١٣٠).

"وتقدّمت تجرّ شيخوختها، وضغطت على جرس الباب، ولم يطل الانتظار ففتحت لهما سيّدة لا تقلّ عن أمه عمراً ولكنها أكثر بهاء وقوة وكأن الأيام لم تتل منها شيئاً^(١)".

إنّ هذه المقارنة تدل على مستوى الألم والكبر الذي وصلت إليه الأم، فأُم الفتاة "المحبوبة" أكثر بهاء وقوة مما يعني أنّ أمه أكثر ضعفاً وتعباً.

ـ الشخصيات الثانوية:

جاءت أوصاف الشخصيات الثانوية مختصرة في جمل بسيطة، مما يعني أن الوصف بسيط لا ينتمي إلى حقل الجمل الوصفية الحركية، ويمكننا أن نجمل هذه الأوصاف فيما يلي:

(١) والدة العروس، أوصافها:

١. أكثر قوة وبهاء من أم البطل.

٢. حريصة على زوجها فتظهر معه في كل وقت.

٣. انسجامها مع زوجها في الآراء.

٤. تحب الثرثرة.

ـ الشخوص في المكتب:

لم يعلن الكاتب عن أسماء الشخوص واكتفى بأن يورد آراءهم في خطبته للفتاة الأرستقراطية: وجميعهم شجعوه على الزواج من هذه الفتاة؛ واعتبروا زواجه منها فرصة باستثناء شخصية واحدة وهي "وداد" التي اختارت الصمت والإصغاء، وجعل الكاتب هذا الوصف ليكون خاتمة للقصة، فهو لا يعرف سرّ هذا الصمت، هل يعنيه الأمر في شيء، أم لا يعنيه البتة؟

إنّ هذا الصمت ترك مساحة التأويل عند القارئ مفتوحة، مما يعني أن القارئ يساهم في تشكيل الخاتمة التي يريدها لهذه القصة فقد تكون وداد محبة للبطل، ولذا

(١) أحمد زياد محبك، قصة الموظف الصغير، المرجع السابق، ص (٦٩).

فهي ترغب في أن لا يخطب هذه الفتاة، وقد يكون صمت "وداد" دلالة على الضعف فهي لا تملك وسيلة سوى الضعف والعمل... وقد يكون هناك أبعاد تأويلية أخرى.

رابعاً: لغة الوصف

جاءت لغة الوصف في هذه القصة متراوحة بين التصوير المباشر لتفاصيل الواقع القصصي المعاصر، والتصوير البلاغي المعتمد على لغة تصوير شعرية ويمكننا أن نفصل في البناء اللغوي للجملة الوصفية على النحو الآتي:

أ. لغة التصوير الوصفي المباشر.

ب. لغة التصوير الشعرية المجازية.

أ. لغة التصوير الوصفي المباشر:

جاءت لغة الوصف المباشر ترسم صور الأشخاص وكأنها نقلاً عن الواقع: صبية، ممشوقة القوام، شعرها الأشقر مرسل على كتفيها^(١).

ونقلت الجملة الوصفية صورة منزل الفتاة وكأنه تصوير مباشر لهذا المنزل "غرفة استقبال واسعة تتألف من غرفتين بينهما باب واسع مفتوح وقد فرشت كل غرفة نمط من المقاعد يختلف عن الآخر".

تمثل الجمل الوصفية السابقة نقلاً للواقع بعيداً عن التشبيهات والانزياحات إنما هو تصوير بالكلمات لحقائق الموجودات المكانية، وهذا النوع من الوصف يوظف بناءً لغوياً مباشراً من المفردات المستخدمة في معجم الحياة اليومي، أما البناء النحوي فهي جملة خبرية هدفها إضافة معلومات لقارئ النص دون أن تترك إثارة أو انفعالاً مباشراً في البناء التركيبي للجملة الوصفية، ومن ذلك حين وصف دخول والد الفتاة إلى غرفة الاستقبال، يقول: "يفتح الباب نفسه، ويدخل الرجل الذي كان قد استقبله في الزيارة السابقة، وتدخل في إثره زوجته، ينهض إليه ويحييه، ويقعد الرجل إلى جانبه هو وزوجته^(٢)".

(١) أحمد زياد محبك، قصة الموظف الصغير، المرجع السابق، ص (٦٩).

(٢) المرجع السابق، ص (٧٠).

ويلحظ في الوصف المباشر حضور الحقل اللوني بشكل ملفت، فاللون جزء من الصورة الوصفية لديه، يقول: زجاج النوافذ يعكس لون الاحتراق" في دلالة على مدى اشتداد الحرّ، والستائر حين أسدلت على النوافذ أيقن البطل أنه عزل في قبر من فضة في إشارة إلى مدى رفاهية البيت الذي تعيش فيه الفتاة، ولكنه بالرغم من ذلك شعر بالضيق فأحسّ كأنه في قبر. وقد قيد الوصف اللوني ليشير إلى اللون بوضعه المباشر فنجد وكأننا أمام لوحة لونية، يقول: "ويمتد الحديد وتمتد دهانات وسطول وأصباغ وألوان حمراء وصفراء وخضراء وزرقاء وسوداء يمكن صنع كل شيء بها، ما من شيء لا يمكن صنعه"^(١).

٢. لغة التصوير الشعرية: تعتمد هذه اللغة على التصوير الاستعاري والترميز واللغة الشعرية القائمة على الانزياحات اللغوية والمفارقات التصويرية، فضلاً عن المراوحة بين المحكي السردّي والمحكي الشعري.

" فالوصفي صيغة كينونة للنصوص تتجلى فيها نظرية اللغة الضمنية، تظهر بدرجات متفاوتة، وفق إخراج محسوس جداً وعلى مستويات عدّة داخل النصّ المقروء. ويمرّ هذا الإخراج بمضمونيات متميزة وبنى سردية وعلاقات بين الشخصيات نوعية تملأ الملفوظ الوصفي بالأضواء المنيرة التي تكشف عن الهندسات اللغوية والبنى الإيقاعية والنغمات الختامية وطرق العدول المجازية"^(٢)

(١) أحمد زياد محبك، قصة الموظف الصغير، السابق، ص (٧٠)

(٢) فيليب هامون، في الوصفيّ، مرجع سابق، ص (١٤-١٥).

وتظهر جملة الوصف التصويرية في نموذجين لغويين، هما:

١. الانزياح في بناء الجملة الوصفية:

يعرّف الانزياح بأنه انتهاك متعمد للعرف اللغوي بابتعاد الكلام عن نسقه المألوف. وهو حدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته ويمكن بواسطته التعرف على الأسلوب الأدبي، بل يمكن اعتباره الأسلوب الأدبي ذاته^(١). ومع أن لغة القصة لغة نثرية "إلا أنها حافلة بالشعرية، تلك الشعرية التي فارق فيها الكاتب البناء اللغوي المألوف من خلال النماذج الآتية":

- السيارة تخترق بحيرة اللهب المستعر إلى الحي الغربي حيث الأفق هناك أكثر إيقاداً^(٢).

أقام الكاتب في الجملة السابقة علاقة بين حقلين متباعدين ونتج من هذا الاقتران صورة غير مألوفة توحي بمعنى الاختناق من الحرّ وكثرة حركة السيارات التي ولدت بحيرة ولكنها ليست من الماء، وإنما هي (بحيرة اللهب)، إن هذه العلاقة الاقترانية بين حقلين متناقضين الأول من الماء، والآخر من النار، جعل الوصف أكثر إيحاءً بمعنى الضيق الذي يحسه البطل في أثناء ذهابه للعمل.

- الانزياح (١): البناء المألوف - بحيرة من الماء.

البناء غير المألوف - بحيرة من اللهب.

- الانزياح (٢): البناء المألوف - الأفق أكثر جمالاً، هدوءاً، إضاءة،

البناء غير المألوف - الأفق أكثر انقداً.

وقد يأتي الوصف في سلسلة متوالية من الانزياحات كما في قوله: "على الرصيف مسحت جبينه نسمات صيفية ناعمة".

(١) نور الدين السد، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، ١٩٩٣، ص (١٤٩).

(٢) أحمد زياد محبك، قصة الموظف الصغير، مرجع سابق، ص (٦٨).

إن إسناد الفعل إلى فاعل غير حقيقي يشكل انزياحاً تركيبياً، ولكن الكاتب أضاف إلى هذا التركيب الإسنادي غير المألوف وصفاً آخر غير مألوف مما زاد من قيمة الإحساس الذي أحسه البطل على ذلك الرصيف، وفيما يلي توضيح ذلك:

البناء المألوف:

الفعل : مسح جبينه + **الفاعل** : ← كائن حي .

← إنسان عاقل/الأم، الأخت، الصديق، الحبيبة...الخ.

الانزياح:

الفعل : مسحت جبينه + **الفاعل** : نسמת ناعمة

إن البناء الاقتراضي بين كلمتين نسמת وناعمة، يوحي بمدى إحساس البطل بالراحة والاستمتاع على ذلك الرصيف فاختيار كلمة (ناعمة) ضمن حقل الأوصاف الذي يرتبط بالنسيم يوحي بذلك الارتياح، فالنسمة لم تكن هادئة، متحركة، سريعة، خفيفة... وإنما هي ناعمة وهنا الانزياح.

فالتبادل بين معطيات الحواس يوحي بهذا الهدوء والارتياح الذي يشعر به البطل، ويبدو أن الكاتب يلجأ إلى الانزياح حين يصف ما يلج في صدر البطل من انفعالات نفسية، فهو يصف ضيقه من والد الفتاة وهو يسيطر على الجلسة بكلامه، يقول: "الرجل القوي وحده من يتكلم، وحده يلون بالأسود كل فراغات الصمت الأبيض، الجدران والستائر والثريا وأمه والصبيبة والمستقبل والعالم وحده يخط بصورته الكلام الذي يريد فينطبع أسود عريضاً مثل توقيع المدير، وحاشيته بقلمه الأسود تقرر كل شيء" (١)

لقد جعل الراوي كلام الرجل لوناً، وقد اختار أن يكون هذا اللون أسوداً يحمل دلالة التأثير والسيطرة على الجميع، ولقد بدأ الانزياح في التركيب الاقتراضي الآتي (فراغات - الصمت)، فهل للصمت فراغات؟ وهل جاء اللون الأسود ليومي بمعنى القوة في ملئ هذا الفراغ؟! لماذا وصف صوت الرجل القوي بأنه قبل توقيع المدير؟! ألا يدل ذلك على السيطرة والقوة؟

٢. التشبيه وأثره في الصورة الوصفية:

يعدّ التشبيه إحدى المفردات الرئيسية التي يلجأ إليها الوصف الأدبي فالتشبيه وثيقة وضعية قادرة على نقل الواقع والتعبير عنه، وتسجيل ما فيه من تجارب ومعارف (٢)، فكيف ساهم التشبيه في نقل الأوصاف في هذه القصة؟

يقول: "ضجيج السيارات وصخبها حبالٌ تلتفّ على العنق والصدر واليدين والأرصفة تعجّ بالغادين والرائحين، وكأنّ الناس خرجوا من بيوتهم مختقين. لقد جمع الشاعر بين طرفي تشبيه متباعدين ليوحي بمعنى الضيق الذي يشعر به فقد شبه ضجيج السيارات وأثره السلبي عليه كأنه حبل التفتّ حول عنقه وصدره ويديه، وفي ذلك إحياء بمدى المعاناة أثناء ذهابه للعمل.

وقد يكون التشبيه أداة تؤدي دقة الوصف، فها هو يصف صدر الفتاة بالبلور المضيء ليدلّل على جمالها، وشبه المصاريف والنفقات لكثرتها بالجمال، والصمت المريب شبهه بالغمم الأسود في إشارة إلى الحيرة التي تدور حول أهمية اختيار فتاة أرستقراطية للارتباط بها.

إن سلسلة الأوصاف السابقة تشكلت من العلاقة المشتركة بين المشبه والمشبه به لتشكل هذه الثنائية وصفاً موجباً بالدلالة التي يسعى الكاتب لتحقيقها.

وهكذا يتضح أهمية الوصف في الكشف عن كل عنصر من عناصر القصة القصيرة، فنراه ممتداً من بداية القصة حتى نهايتها، ونراه يخدم القاص في التعبير عن المعاني التي يسعى إلى تحقيقها.

. الرسائل الجامعية :

- أسماء عبدالقادر شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٠.
- نور الدين السد، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، ١٩٩٣ .

المصادر والمراجع

- . إبراهيم السعافين: الأئمة و المرايا "دراسة في فن جبرا إبراهيم جبرا" المركز العربي للمطبوعات ،بيروت، ط١، ١٩٩٦.
- أبوهلال الحسن بن عبدا لله العسكري ، الصنائع والكتابة و الشعر، ط١، ت علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٢.
- . ألان روب غرييه ، نحو رواية جديدة ، تر: مصطفى إبراهيم مصطفى ، تقديم: لويس عوض، دار المعارف، مصر.
- جابر أحمد عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي ، دار المعارف، مصر ١٩٨٠.
- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، المجلد التاسع باب الفاء، دار صادر- و دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، ١٩٨٦ .
- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦.
- حسني نصار، صور و دراسات في أدب القصة ، مكتبة الانجلو المصرية، بدون ط.
- . سامي سويدان ، أبحاث في النص الروائي ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ط١، بيروت ، ١٩٨٦.
- . السيوطي، أسباب النزول ، تفسير و بيان مفردات القرآن الكريم، إعداد : محمد حسن الحمصي، ط١، الدار الشامية للمعارف، دمشق.
- غاستون بلاشر: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسة، بغداد، ١٩٨٠.
- فيليب هامون، فيليب، في الوصف، تر: سعاد التريكي، ط١، بيت الحكمة، قرطاج ٢٠٠٣
- قدامة ابن جعفر، نقد الشعر، ت: كمال مصطفى، بدون ط، مكتبة الخانجي ، مصر، مكتبة المثني، بغداد ١٩٦٣.
- محمد نجيب العمامي، الوصف بين النظرية و النص السردي، ط١، دار محمد علي للنشر، تونس، ٢٠٠٥.
- ميخائيل باختين: أشكال المكان و الزمان في الرواية، ترجمة: يوسف حلاق، وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٩٩٠.
- ميشيل بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس ، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٧١ .

